تجلي ظاهرة "اللاغربية" في مونديال قطر: الاستشراق والمركزية الغربية

حسنى تاش يتيم

بحسب المسؤولين في الدوحة، فإن السبب الرئيس للانتقادات الغربية التي وجهت إلى أجواء بطولة كأس العالم الأخيرة، هو أن قرار تنظيم المونديال في قطر "دمّر مفهوم كرة القدم العالمية القائم على المركزية الغربية". لأن الغرب الذي يرى نفسه في مركز الموارد الاقتصادية والعسكرية، يريد الحفاظ على هذا الموقع في السياق الثقافي أيضا.

أسفر التصويت الذي أجراه الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) في 2 ديسمبر/ كانون الأول 2010 في مدينة زيورخ السويسرية، عن فوز قطر باستضافة مباريات النسخة الثانية والعشرين لكأس العالم (المونديال) التي تقام كل أربع سنوات. وبموجب هذا القرار، انطلقت بطولة كأس العالم لكرة القدم التي تستضيفها قطر في خمس مدن وثمانية ملاعب، اعتبارا من 21 نوفمبر/ تشرين الثاني

الشرق الأوسط

2022. هذا الحدث الذي انتهى بالمباراة النهائية للبطولة في 18 ديسمبر/ كانون الأول, حوّل تركيز السياسة الدولية إلى قطر. وكون هذه البطولة التي وصفت على أنها "مهرجان إنساني" من خلال عدم التمييز بين الاختلافات العرقية والدينية واللغوية والسياسية بين الأشخاص المنسوبين إلى العديد من الثقافات المختلفة, تقام في دولة شرق أوسطية لأول مرة, فهذا يكسب الشرق الأوسط المرتبط اسمه بالصراعات, وقطر سمعة واعتبارا مهمين. وإضافة إلى أهمية استضافة الحدث الرياضي الأكثر شمولا في العالم من حيث الترويج, فإن كرة القدم التي تعتبر أحد عناصر القوة الناعمة, حولّت قطر أيضا إلى مركزا للدبلوماسية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بعض الدول الغربية ووسائل الإعلام الغربية قد تجاهلت قطر رغم الإسهامات البناءة والجوانب الإيجابية لهذه الاستضافة لدولة قطر التي أسمعت اسمها على المستوى الدولي وأنفقت أكثر من 200 مليار دولار في إطار البطولة.

أطلقت بعض الدول الغربية ووسائل الإعلام الغربية تصريحات بأن إسناد استضافة المونديال إلى قطر تم نتيجة للرشوة والفساد. ولو نظرنا إلى التصريحات في بعض وسائل الإعلام الغربية حول استضافة قطر، سيتبين أن الموضوع يتم تناوله من وجهة نظر استشراقية وليس من وجهة نظر رياضية. وفي هذا السياق، قامت وسائل الإعلام الغربية مثل نيويورك تايمز (New York Times) وواشنطن بوست (The Washington Post) وبي بي سي (BBC) والغارديان (the Guardian) ورويترز (Reuters) والإيكونوميست (The Economist) بتغطية واسعة النطاق للأخبار التي استخدمت التعبيرات النمطية، والتركيز على استضافة قطر من وجهة نظر "مضلّلة" بشأن قضايا مثل العمال المهاجرين وحقوق الإنسان والمثليين. حيث قامت قناة بي بي سي التي تبث دائما حفل افتتاح كل بطولات كأس العالم على الهواء مباشرة، بعدم الحصول على حقوق نقل بطولة قطر، بل حتى أنها أعطت مساحة لمحتويات الأخبار التي تصف حفل الافتتاح القطري بأنه سلبي.

وركزت الحملة الدولية ضد قطر على ظروف الاستضافة وحقوق الإنسان والعمال المهاجرين وقضايا الإرهاب، معطية مساحة لمنصات التواصل الاجتماعي وتقرير منظمة العفو الدولية.

"اللاغربية" في كأس العالم

ساهمت المناقشات المبكرة حول هذا الموضوع، في إبراز احتمالية عدم قدرة قطر على امتلاك الظروف المناسبة لاستضافة بطولة واسعة النطاق مثل بطولة كأس العالم لكرة القدم. وتم نشر مزاعم بأن هناك عقبات أمام تنظيم هذا المونديال لأن قطر ليس لديها ملاعب كرة قدم وغيرها من المعدات والمنشآت الرياضية على المستوى والحجم المناسب لاستضافة هذه البطولة، كما أن الحرارة في موسم الصيف الحار تصل إلى 38-40 درجة مئوية. ووصف رئيس الفيفا السابق سيب بلاتر, في تصريح له في مايو/ أيار 2014، منح قطر استضافة مباريات كأس العالم التي ستقام في الشتاء بـ "الخطأ"، فيما تبنّت الدول الغربية نفس الخطاب في هذا الصدد. إلّا أن قطر أمام كل هذه الانتقادات، بدأت في بناء ملاعب كرة قدم بأنظمة تكييف الهواء وإخضاع الملاعب الموجودة لعمليات ترميم شاملة من أجل تلبية متطلبات البطولة. وعلى الرغم من ذلك، تواصل الدول الغربية تصريحاتها بأن القضية ليست فقط بناء ملاعب كرة قدم جديدة أو ترميم الملاعب الموجودة.

وبحسب الغرب، كانت إحدى القضايا الرئيسية التي يتعين على قطر حلها، هي توفير مستويات المعيشة اللازمة لموظفي الخدمة الأجانب الذين سيلبّون احتياجات الإقامة والتنقل والسفر للمشجعين القادمين إلى قطر من العديد من أنحاء مختلفة في العالم. كما أن النقاش حول حقوق العمال الأجانب الذي بدأ تداوله على مستوى العالم اعتبارا من 2013 من خلال المؤسسات الإعلامية الغربية، عاد للظهور على السطح مرة أخرى بشكل أكبر، خاصة مع اقتراب مباريات كأس العالم. وفي هذا السياق، بدأت تنتشر أخبار كثيرة تفيد بأن العديد من العمال الأجانب الذين يعملون في مجال البناء في قطر، ومعظمهم من الهند ونيبال والفلبين وباكستان وبنغلاديش، لا يتمتعون بظروف صحية وسكنية وأمنية كافية، ولذلك يموت العديد من العمال الأجانب كل عام أو يتعرضون للإصابات.

ونشرت وسائل الإعلام أن العمال الأجانب الذين سيتم إحضارهم إلى قطر للتحضير لكأس العالم سيواجهون وضعا مشابها، وبالتالي هناك مخاوف من أن يتسبب هذا في انتهاكات حقوق الإنسان، وأن عدد العمال المهاجرين الذين لقوا حتفهم في قطر في الفترة بين عامي 2010-2020 أكثر من 6 آلاف و500 شخص, كما أشير إلى أن ذلك ناجم عن نظام الكفالة في قطر. وكان نظام الكفالة الذي ألغته قطر بشكل رسمي في عام 2017، يعطي صلاحيات واسعة لأصحاب العمل والمؤسسات فيما يتعلق بمسؤوليات العمال المهاجرين العاملين في مختلف القطاعات في البلاد وحقهم في دخول البلاد ومغادرتها. وبحسب تقارير منظمة مراقبة حقوق الإنسان (HHRW)، يتم استغلال هذا النظام من قبل أصحاب العمل الذين لا يتمتعون بنوايا حسنة، وبالتالي يموت العديد من العمال المهاجرين كل عام بسبب سوء الظروف الصحية والمأوى وظروف العودة إلى بلادهم. وقامت قطر التي ألغت نظام الكفيل المذكور أعلاه، بتنفيذ سلسلة من الإصلاحات في السنوات الأخيرة تشمل ظروف العمل والحد الأدنى للأجور للعمال المهاجرين. وبالإضافة إلى ذلك، قامت دولة قطر بتحسين ظروف العمل وزيادة التدابير الأمنية فيما يتعلق بالمشاريع المنفذة في إطار البطولة. لكن على الرغم من ذلك، فإن هناك تصاعدا في النقاشات الدولية والضغوطات ومحاولات الرقابة على قطر بشأن حقوق العمال.

تم طرح اللوائح القانونية الحالية التي "تحرّم المثلية الجنسية واستهلاك الكحول" في قطر، كقضيتين أخريين على مستوى حقوق الإنسان. حيث اعتبرت بعض الدول الغربية حظر الكحول قيودا على الحريات الشخصية. كما أعربت هذه الدول أيضا عن قلقها من أن قانون حظر المثلية الساري في دول مثل قطر ويعتبر قضية مثيرة للجدل على الساحة العالمية، سيمثل عائقا أمام حضور المثليين لمباريات البطولة. وردا على سؤال حول ما إذا كانت السلطات القطرية ستسمح للمثليين بحضور مباريات البطولة أم لا، قال وزير الدولة لشؤون الطاقة في قطر سعد بن شريدة الكعبي، "قطر دولة مفتوحة لجميع الأفراد، وإذا كانوا

يريدون زيارة قطر فليس هناك أي مشاكل في هذا الصدد". ولكن بعض الأحداث التي شوهدت أثناء البطولة مثل محاولات بعض المشجعين دخول الملاعب حاملين شعارات المثلية، ودعم لاعبي كرة قدم الدول الغربية لحملة المثليين وتصريحاتهم بالرغبة في ارتداء شارة تحمل شعار المثليين بألوان قوس قزح بما في ذلك لاعبي إنجلترا وويلز وبلجيكا والدنمارك وفرنسا وألمانيا وسويسرا والنرويج والسويد وهولندا، وقيام لاعبي المنتخب الألماني بارتداء أحذية بألوان المثليين واحتجاجهم على منع المثلية في قطر من خلال وضع أيديهم على أفواههم. كل هذه الأمور تكشف حقيقة "تسامح الغرب مع من يختلفون عنهم" و"المركزية الغربية" فيما يتعلق بالقيم العالمية.

يمكن القول بأن ازدياد تردّد كلمة قطر على الساحة الدولية في سياق الإرهاب قبل وقت قصير من انطلاق بطولة كأس العالم لكرة القدم 2022، هي نتاج آخر لقلق الدول الغربية. وفي الوقت الذي بدأت فيه منظمتا القاعدة وداعش الإرهابيتين بالتحدث عن هجمات محتملة ضد المونديال، ازداد الحديث بشكل كبير عن العلاقات التي تربط قطر بجماعات مثل الإخوان المسلمين وحماس وطالبان. وإضافة إلى ذلك، بدأ المجتمع الدولي يصرّح بشكل متكرر، أن قطر توفر المأوى والأموال لحركة حماس ومقرها قطاع غزة وقادتها، وأنها تستضيف أيضا أشخاص من فيلق الحرس الثوري الإسلامي (IRGC) والإخوان المسلمين وحركة طالبان. وكان الكاريكاتير حول قطر الذي نشرته صحيفة (Le Canard Enchainé) الفرنسية الساخرة في 9 نوفمبر/ تشرين الثاني، إحدى الأمور الخطيرة التي زادت من وضوح القضية فيما يتعلق بالإرهاب. حيث رسمت الصحيفة في هذا الكاريكاتير صور لاعبي المنتخب القطري لكرة القدم وهم يحملون أسلحة ويحملون أحزمة ناسفة. وبحسب بعض مصادر الأنباء الغربية الرائدة، فإن قطر "توفر أيضا الملاذ الآمن والوساطة الدبلوماسية والمساعدات المالية، وفي بعض الأحيان توفر الأسلحة" للجماعات الإسلامية العالمية. وفي هذا السياق، أكد مسؤولون قطريون رفيعو المستوى وعلى رأسهم أمير قطر تميم بن حمد آل ثاني، مجددا في تصريحاتهم بأن قطر لا تدعم المنظمات والحركات الإرهابية.

موقف قطر تجاه الانتقادات

إن الطريقة (المضلّلة) في رؤية الغرب وقراءته بشأن هذه المسألة، أدّت من جهة إلى التشكيك في تسامحه ومنظوره تجاه الثقافات الأخرى، ومن جهة أخرى أدت إلى نقاشات حول "المعايير المزدوجة" و"النفاق" الغربي. وفي تصريح ردا على المنتقدين الغربيين، أصبح رئيس فيفا جياني إنفانتينو أحد عناصر هذه النقاشات، حيث قال إنفانتينو: "أنا أوروبي، وبسبب ما كنا نفعله منذ 3000 سنة حول العالم, يجب أن نعتذر لنحو 3000 سنة قادمة قبل إعطاء الدروس الأخلاقية. وإذا كانت أوروبا مهتمة حقا بمصير هؤلاء الأشخاص، فيمكنها أن تمنح العمال مستقبلا وأملا". كما أن تصريحاته حول حظر الكحول: "إذا لم تستطع شرب الجعة لمدة ثلاث ساعات في اليوم، أعتقد أنك ستعيش"، كانت مهمة في هذا الإطار. كما أدلت بعض البلدان والمحللون وأجهزة الإعلام التي تتعامل مع القضية بحساسية، تصريحات مماثلة تجاه هذه الانتقادات وما شابهها".

وصف أمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني الانتقادات الموجهة لبلاده فيما يتعلق ببطولة كأس العالم، بأنها "الذروة التاريخية للانتقاد الموجّه لقطر من الغرب"، وأضاف بالقول: "قطر تتعرض لحملة غير مسبوقة لم يواجهها أي بلد مضيف من قبل". كما وصفت شخصيات ومؤسسات أخرى رفيعة المستوى في الدوحة وعلى رأسها وزارة الخارجية القطرية، هذه الانتقادات بأنها "عنصرية" و"نفاق"، وأكدوا أن على المجتمع الدولي احترام قطر. و بحسب المسؤولين في الدوحة، فإن السبب الرئيس للانتقادات الغربية التي وجهت إلى أجواء بطولة كأس العالم الأخيرة، هو أن قرار تنظيم المونديال في قطر "دمّر مفهوم كرة القدم العالمية القائم على المركزية الغربية". لأن الغرب الذي يرى نفسه في مركز الموارد الاقتصادية والعسكرية، يريد الحفاظ على هذا الموقع في السياق الثقافي أيضا. لذلك، كشفت استضافة قطر للبطولة أنه ليس من الممكن دائما الحفاظ على هذا الموقع في جميع المجالات.

وعلاوة على ذلك، يجب أن نشير إلى أن الدوحة إضافة إلى إنشاء ملاعب كرة قدم جديدة، ألغت نظام الكفالة

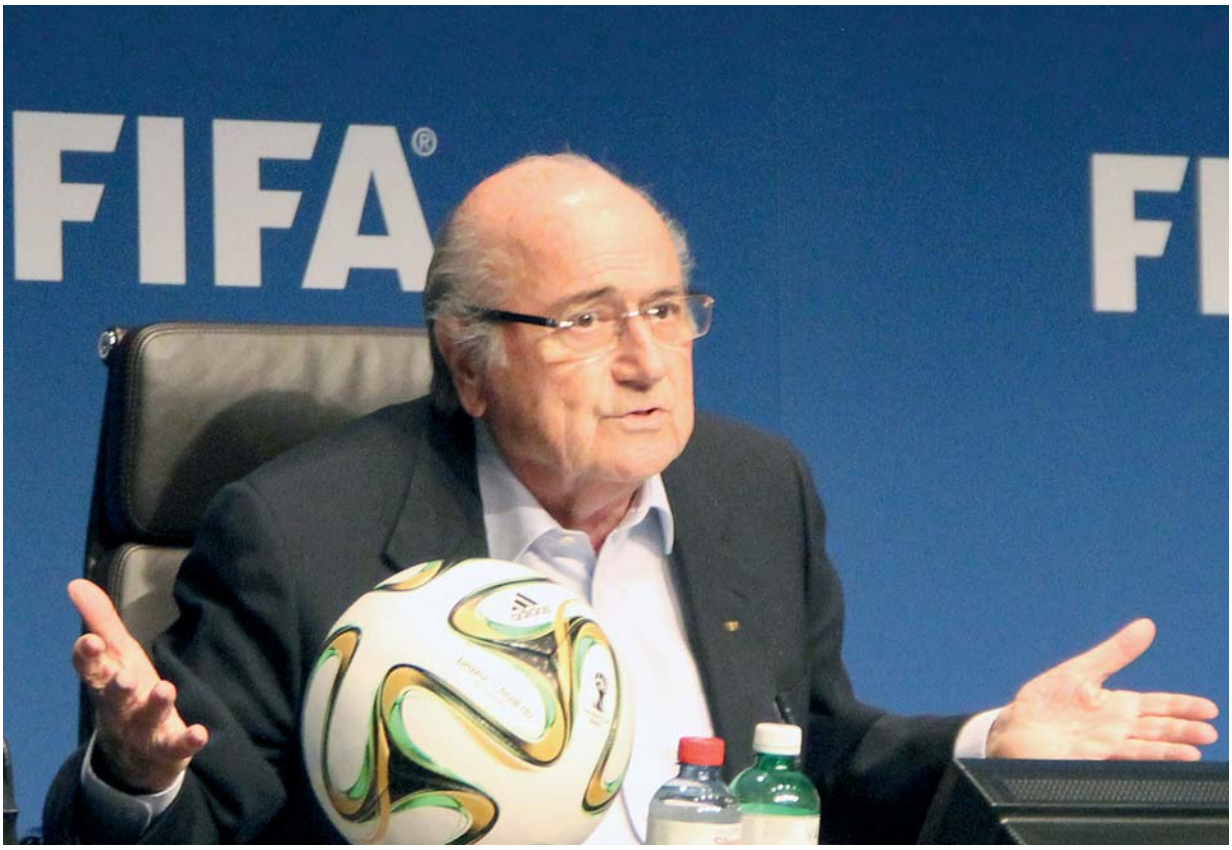

اعتبارا من عام 2017، وفي نفس العام أصدرت لائحة قانونية جديدة لا تتطلب موافقة صاحب العمل عندما يرغب العمال المهاجرون في تغيير الوظائف والبلدان. وتواصل قطر إجراء العديد من الإصلاحات المتعلقة بحقوق العمال بالتعاون مع منظمة العمل الدولية، كما تواصل وضع لوائح مهمة في هذا المجال، لا سيما فيما يتعلق برواتب العمال وحقوقهم الصحية. وصرح حسن عبد الله الذوادي، المدير العام للجنة التي تقدمت بطلب ترشح قطر لاستضافة بطولة كأس العالم، بأن استهلاك الكحول خلال المباريات سيسمح به من قبل الجهات المختصة. ويشار هنا إلى أن القانون القطري الحالي بشأن المشروبات الكحولية، يحظر استهلاك الكحول في الأماكن العامة للمواطنين والأجانب والسائحين كذلك.

قامت قطر بتعزيز إجراءاتها الأمنية في مناطق المباريات. وفي هذا السياق، رفعت الدوحة بالتعاون مع الشركات الأمريكية والإيطالية والفرنسية عدد أنظمة المراقبة بالطائرات المسيرة (drone) إضافة لزيادة عدد موظفي الأمن، وذلك من أجل زيادة التدابير الأمنية في المناطق التي تشهد فعاليات كأس العالم. بالإضافة إلى ذلك، استقدمت قطر عناصر أمنية إضافية من دول بينها تركيا وفرنسا وباكستان ومصر لزيادة قدرة قوات الأمن المحلية، لاسيما في المناطق التي سيقام فيها المونديال. أمّا التدابير الأمنية الإضافية لأغراض التدريب في نطاق مكافحة الإرهاب، فتم زيادتها في جميع أنحاء البلاد. وفي النتيجة، أخذت الدوحة الانتقادات المذكورة بعين الاعتبار، وبدأت تغييرات مهمة من الناحيتين الإدارية والهيكلية، أمّا فيما يتعلق بحملات النقد والتشهير التي تقوم على أساس استشراقي، فكانت إجابة قطر من خلال الأنشطة الثقافية التي قدمتها والرسائل الإيجابية التي بعثتها. ■

حسنى تاش يتيم: أكاديمية من تركيا، حاصلة على الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة سقاريا.